أين وطني ..

أين وطني ؟!..
صراخ على الدرب ، زعيق في أقاصي السماء ،
يا وجعاً حطّ في قلب الرجاء ،
يا حطامَ الجمر ، وسخط الشرَرَ ،
من متى يسكن دارك موتٌ ، والشمس توارى في خسوف القمر ؟!.
أ من عمر مضى صمتاً تحت لغو الخطاب وضحك الصّوَرْ ؟!،
أينه وطناً ؟!.. من حجر أم بشر ؟!.
يا أرض ، يا سماءْ ؟!..
أين وطني ؟!.

أتعب السّؤال قلباً بالصّدى صلداً أصمَّ !،
إذا ما الخطبُ هَمَّ ، حفّ الإمامُ حاشيةً وأمَّ ،
فتحشو آلامكَ الغيومْ ،
تبكي النجومْ ،
تسأل الوديان ، التلال ، الغجرْ ،
أين وطني ؟!،

تخاطب التاريخ ، القدر ،
تخطو عذاباً في الصحارى والحَضَرْ ،
تحادث الشياه ، البقرْ ،
ما الخطبُ ؟!. لا تسلْ ، من أين يأتي الخبرْ ؟!.
سل ، أين وطني ؟!..
وانتظرْ !.

ووجه الحبيب ، يا عيني ، في تخوم القمرْ ،
ينساب في همس النسيم ، في نقر حبات المطرْ ،
أما اصطبرت عمراً ؟!
فانتظر حلماً في أوجاع القدرْ ،
لا تزدّ على خائبٍ في القلاع يقدح الشررْ ،
يحرّك المخرزَ في لحمك ،
يخوض في عظمك ،
لا تسله ، أين وطني ؟!..
يقدحُ الشّرَرْ .

كإلهٍ مقتدرْ ،
طحن الغرور فكّيه من كِبَرْ ،
أخافَ الطيرَ ، الشجرَ ،
مرّ بما مرّ في تاريخ آكلي لحم البشرْ ،
باعة سوق النخاسة ، لموا دمك النازف في جرار الجير ، هديةَ عيدٍ عبرْ ،
بكفٍّ ثقيلةٍ يخبط الأرجاءْ ،
غاباتٍ ، بحوراً ، سماء ،
لا تسل سارقَ الوطن ، أين وطني ؟!..
يصبّ عليك البلاءْ !.

خذ درباً في الصحارى ،
اصطحبْ رمل الكثيب بقايا قومٍ غيارى ،
افتح له راحتيك ، املأ فيك غبارى ،
كفى تحمّ ، تعلو وجهك الكريمَ صفرةٌ ، امش الهوينى قفارا ،
وارنُ في جمال السماءْ ،
إلى الطير ، الطفل ، النساءْ ،
هدّه منك لؤمٌ ، احذره نارا !..
قلق على عرشٍ من جملةِ الشعرِ ،
من ومَض الغناءْ !.
لا تسله ، وطني !.
لا يعرف العراءْ !.

لن تفهم له لغةً ،
لا تحصي في اللفظِ الغباءْ ،
أ سمعت عن كوارثَ تعصف في خفاءْ ؟!،
منه ، لا يرفّ له جفنُ ،
لا ينال منه العناءْ !،
لا تسله ، وطني ؟!.
يهديك الغثاءْ !.

رأيت شبحاً في عيون الإماءْ ،
سمعت في نواح اليمام ، فوق حيطان العزاء ،
في سواد الليل ،
في صخورٍ اسّاقطت على تخوم المساءْ ،
وتراً ينشبُ في عيون النداء ،
ما تلعنُ أرضٌ وتغضب عليه السماءْ .
تصرخُ في مارقين ،
أين وطني ؟!.

أ هو نهر الدماء ؟!..
فاقرعِ النبضَ قلبي ،
وارفع الصوت عالياً يا هواءْ ،
واصفُر على الأيام ريحاً ، لفّ أرضاً وسماءْ ،
املأ الأجواء .
سلْ ،
أين وطني ؟!.